ياتي الا سطر من نحو كلامه كما ترى الجاحظ يفعله في كتبه متى ذكر من كلا
سطرا اتبعه من كلام الناس اوراقا واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره
كتابا وهذا يدلك على ان الشيء اذا استحسن اتبع واذا استملح قصد له وتعمد
وهذا الشي يرجع الى الاخذ بالفضل والتنافس في التقدم فلو كان في مقدور
البشر معارضته بالقران لهذا الغرض وحده لكثرت المعارضات ودامت
المنافسات فكيف وهناك دواعٍ لا انتهاء لها وجوالب لاجل كثرتها لانهم
لو كانوا عارضوه لتوصلوا الى تكذيبه ثم الى قطع المحامين دونه عنه او تنفير
هم عليه وادخال الشبهات على قلوبهم وكان القوم يكتفون بذلك عن بذل
النفوس ونصب الارواح والاخطار بالاموال والذراري في وجه عداوته
ويستغنون بكلامٍ هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربته وطول
منافسته ومجاذبته وهذا الذي عرضناه على قلبك يكفي ان هديت لرشدك
ويشفي ان دللت على قصدك ونسيل الله حسن التوفيق والعصمة والتشديد
انه لا معرفة الا بهدايته ولا عصمة الا بكفايته وهو على ما يشاء قدير وحسبنا
الله ونعم الوكيل ۞ **فصل فان قال قايل** قد يجوز ان يكون
اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الاتيان بمثل القران وان كان
من بعدهم من اهل الاعصار لم يعجزوا ۞ **قيل هذا سوال المعروف**
وقد اجيب عنه بوجوهٍ منها ما هو صوابٌ ومنها ما فيه خلل لان من كان يجيب
عنه بانهم لا يقدرون على معارضته في الاخبار عن الغيوب ان قدروا على مثل
نظمه فقد سلم المسله لانا ذكرنا ان نظمه معجزٌ لا يقدر عليه فاذا اجاب بما
قدمناه فقد وافق السايل عن مراده والوجه ان يقال فيه طرق منها انا اذا علمنا
ان اهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الاتيان بمثله فمن بعدهم اعجز لان فصاحة
اوليك في وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول مما لا يزيد عليه فصاحةً من
بعدهم واحسن احوالهم ان يقاربوهم او يساووهم فاما ان يتقدموهم او
يسبقوهم فلا ومنها انا قد علمنا عجز اهل ساير الاعصار كعلمنا بعجز اهل
العصر الاول والطريق في العلم بكل واحدٍ من الامرين طريق واحد لان التحدي في
الكل على جهة واحدةٍ والتنافس في الطباع على حدٍ والتكلف على منهاج لا يختلف
ولذلك قال الله تبارك وتعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرا **فصل في
التحدي** يجب ان تعلم ان من حكم المعجزات اذا ظهرت على الانبياء ان يدعوا

فيه

٦١

فيها انها من دلالتهم واياتهم لانه لا يصح بعثة النبي من غير ان يوتى دلالة و
يويد باية لان النبي لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بقول نفسه ولا بشي اخر سوى
البرهان الذي يظهر عليه فيستدل به على صدقه فاذا ذكر لهم ان هذه ايتي و
كانوا عاجزين عنها صح له ما ادعاه ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح ان يكون برها
له وليس يكون ذلك معجزا بان يتحداهم الى ان ياتوا فاذا تحداهم وبان عجزهم صار
ذلك معجزا وانما احتيج في باب القران الى التحدي لان من الناس من لا يعرف كونه
معجزا فانما يعرفه ولا اعجازه بطريق لان الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه
وصورته وانما يحتاج الى علمٍ وطريقٍ يتوصل به الى معرفة كونه معجزا فان كان
لا يعرف بعضهم اعجازه فيجب ان يعرف هذا حتى يمكنه ان يستدل به ۞
ومتى راى اهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه باجمعهم مع التحدي
اليه والتقريع به والتمكين منه صار حينيذٍ بمنزلة من راى اليد البيضاء و
انقلاب العصا ثعبانا تتلقف ما يافكون واما من كان من اهل صنعة
العربية والتقدم في البلاغة ومعرفة فنون القول ووجوه المنطق فانه يعرف
حين يسمعه عجزه عن الاتيان بمثله ويعرف ايضا اهل عصره ممن هو في طبقته
او يدانيه في صناعته عجزهم عنه فلا يحتاج الى التحدي حتى يعلم به كونه معجزا
ولو كان اهل الصنعة الذين صفتهم ما بينا لا يعرفون كونه معجزا حتى يعرفوا عجز
غيرهم عنه لم يجز ان يعرف النبي صلى الله عليه وسلم ان القران معجز حتى يرى عجز
قريشٍ عنه بعد التحدي اليه واذا عرف عجز قريشٍ لم يعرف عجز ساير العرب عنه
حتى ينتهي الى التحدي الى اقصاهم وحتى يعرف عجز مسيلمة الكذاب عنه ثم يعرف
حينيذٍ كونه معجزا وهذا القول ان قيل افحش ما يكون من الخطاء فيجب ان تكون
منزلة اهل الصنعة في معرفة اعجاز القران بانفسهم منزلة من راى اليد البيضاء
وفلق البحر بان ذلك معجز واما من لم يكن من اهل الصنعة فلا بد له من مرتبة قبل
هذه المرتبة يعرف بها كونه معجزا فيساوي حينيذٍ اهل الصنعة فيكون استدلا لهما
في تلك الحالة على صدق من ظهر ذلك عليه على سواءٍ اذا ادعاه دلالة على نبوته
وبرهانا على صدقه فاما من قدر ان القران لا يصير معجزا الا بالتحدي اليه فهو
كتقدير من ظن ان جميع اياتِ موسى وعيسى عليهما السلم ليست باياتٍ حتى
يقع التحدي اليها والحض عليها ثم يقع العجز عنها فيعلم حينيذٍ انها معجزات و
قد سلف من كلامنا في هذا المعنى ما يغني عن الاعادة وبين ما ذكرناه في غير
البليغ ان الاعجمي لان يعرف اعجاز القران الا بامورٍ زايدةٍ على الاعجمي الذي كان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)